١٣ الأمن والضمير .. والنوم في العسل

إن الموقف المتأزم الذي تعيشه بلادنا هذه الأيام من أزمات متتالية متعاقبة مرتبطة بحياة الناس ومعيشتهم وتعايشهم مع المعطيات الأمنية والاقتصادية والسياسية والثقافية لثورة ٢٥ يناير؛ يجعلنا نقر بوجود أيد خفية وراء تلك الأزمات، ربما تلعب بمسار الثورة وتراهن على إخفاق إنجازاتها، ومن الخيبة أن نركن إلى فكرة الفلول وحدها وتحميلهم ما لا يحملون. والاعتقاد بأنهم ما زالوا يحكمون عقول العامة وتصرفاتهم.. فليس من شك في أن هذه الأزمة مفتعلة، وأن المتورطين فيها لهم أيد ضليعة في حكومات ما بعد الثورة وربما في البرلمان والمجلس العسكري، فالكل يتحمل جزءًا من المسئولية؛ لتقع تبعاتها في نهاية المطاف على أكتافهم جميعًا. فإذا كان المتورطون فلولًا فلماذا لم يكشفهم المجلس العسكري ويحبط نواياهم، وما مصلحته في إخفاء مخططاتهم ومن الذي وضع مصائر الشعب في أيديهم؟ وإذا كانوا بلطجية فلماذا لم تقم الداخلية برصدهم والقبض عليهم وتخليص المجتمع من شرورهم؟ وإذا كانوا عملاءً ومندسين وخونة فأين الأمن الوطني والقومي والعام، وهل هي تشكيلات عصابية متآمرة كما يدعي البعض، أم تشكيلات أمنية تتقاضى رواتبها من جيوب الشعب وخزانة الدولة وعليها التزام وواجب وطني يجب احترامه، أم ما زالوا نائمون في عسل الثورة الذي لم ينته بعد؟ وكيف سمحت ضمائر الشعب الواعية لهذه القلة بالاندساس في صفوفها والعمل على

وأد مستقبل أبنائها والتلاعب بمطالب معيشتها اليومية.. فإذا كان الأمر هكذا فمن السائل ومن المسئول إذن؟ وكيف صارت مصر مرتعًا للذئاب المندسين والمحتكرين والعملاء والخونة والمتاجرين بالأديان والبلطجية؟ فهل جاءت الثورة لتذكرنا بحصان طروادة الذي عقد عليه الأمل فى الأساطير لتخليص البلدة من الأشرار؛ فجاءهم محمل بما هو أشر، يحمل بداخله كل دواعي الخراب والهلاك؟ أم جاءت الثورة لتسقط أقنعتنا وتكشف النقاب عن الوجه القبيح للوعي المصري وأخلاق الشعب التي تلوثت بأنانية أفراده المفرطة؟ وهل أخفت الثورة في أثيابها كل عملاء المصلحة المنتهزين والمرتقبين للحظات ضعف الوطن؛ الذين تخفوا في أصوات الثوار وتعلقوا بذيول الميادين حتى صاروا أذنابًا تضرب في قلب الثورة وتراهن على أوجاع الوطن المنكوب؟ وهل قام الشعب بثورته للخلاص من أزماته القديمة التي خلفتها تراكمات فساد عصر مبارك حتى صارت إرثًا لنا، أم لفتح كشوف حسابات جديدة يدفعها فقط بسطاء هذا الشعب وفقراءه من راحتهم اليومية وتارة من قوت أبنائهم وأمنهم؟ هل جاءت الثورة لفصل الدين عن السياسة أم لفصل السياسة عن الدين أم لدمج الإثنين معًا دونما التفكير في أننا نعيش بعالم متغير تحكمه أخلاق اللئام، ومن العبث فيه أن نستخدم أخلاق الفرسان.. وهل حدد الشعب عن وعي طبيعة وشكل دولته القادمة، أم كله سمك لبن تمر هندي، والعشوائية هي الإطار العام في تحركات الشعب نحو مستقبله.. ماذا غَيَّرت الثورة فينا؟ فهل جاءت مُغيرة لطبائع وضمائر كانت قد تبلدت في عصر كسا فيه الفساد أروقة الأخلاق لدى الساسة والشعب، أم جاءت فاضحة كاشفة لواقع أليم يشير إلى عدم صلاحية المعون الذي أفرز الساسة وهو الشعب، وأن المشكلة ليست في الساسة ولكن في المعون الذي يحويها، والمتمثل في ثقافة الناس وطرائق حياتهم وتنشئتهم على مبادئ غير أصيلة في مصر منها "لو جالك الطوفان حط أولادك تحت رجليك" وعمومًا فإن

الإجابة على هذه التساؤلات لا تنفصل بحال عن ثقافة الشعب .. وعليه يقع العبء الأكبر من الإصلاح؛ فهو الذي قام بالثورة والوحيد الذي يتحمل تبعات فشلها .. وكما هَّبَ ليسقط عن حاضره أنظمة فاسدة متجبرة بكل ما تملكه من أدوات للقمع والهيمنة .. فقد آن الأوان لأن يثور على ذاته و طبائعه وعاداته وأطماعه وإرث الفساد الذي يحمله .. فإذا نجح في ثورته على ذاته .. عندها نقول: نجحت ثورة ٢٥ يناير.

□ □ □ □